كتاب متاح

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

أثر الشعبوية في العلاقات الدولية
تحليل الخطاب والهوية من المنظور البنائي

هاشم عبد المطلب محسن

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

أثر الشعبوية في العلاقات الدولية: تحليل الخطاب والهوية من المنظور البنائي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الابحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / ورقة بحثية

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

هاشم عبد المطلب محسن/ قسم الدراسات الدولية- كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الملخص/

غالباً ما يُفترض أن الشعبوية تقوض أركان النظام العالمي الليبرالي بسبب تضادها مع الديمقراطية والعولمة، فهي تظهر مُسلحة بخطاب تمييزي بين الشعب والنخبة الحاكمة، يترافق مع ظهور التفاوتات الاجتماعية وفجوات توزيع الثروة والدخل، وازدياد النفوذ السياسي لفئات معينة، أو ازدياد الشعور عند قطاعات واسعة من الأغلبية بالاغتراب وبالتهديد على مستوى الهوية والرموز والحقوق الجماعية المادية والمعنوية. تؤدي تلك الاختلالات في النظام السياسي إلى شيوع حالة من الاغتراب السياسي داخلياً من جهة، فيما نتوقع أن تكون لدى الحكومات الشعبوية تفضيلات معارضة للسمات الأساسية للنظام الدولي الليبرالي خارجياً من جهة ثانية. نأمل أن تساهم هذه الدراسة في الأدبيات الناشئة حول الآثار الدولية للشعبوية وفي المناقشات حول أزمة النظام الليبرالي، من وجهة نظر المقاربة البنائية التي توفر إطاراً أكاديمياً لفهم كيفية بناء العلاقات الدولية على أساس الخطاب والهوية.

المقدمة

لم تكن الشعبوية ظاهرة جديدة في السياسة الدولية، ولكن الاهتمام بدراستها تكرّس بانتصار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب غير المتوقع في الانتخابات الأمريكية عام 2016م، إذ ولأول مرة شهدت دولة مهيمنة على النظام الدولي الليبرالي مّداً شعبوياً جارفاً قاد فيه الرئيس ترامب صداماً تجاه ركائز النظام الدولي الليبرالي. وقد تركزت البحوث على التعريف بالشعبوية والأسباب والتداعيات الداخلية لها في العديد من مناطق العالم. من جهة ثانية، ظهر بوضوح التضاد بين الشعبوية ومعطيات النظام الدولي الليبرالي كالعولمة والمنظمات الإقليمية والدولية، والتغيرات التكنولوجية في مجال الاتصال التي أعادت تشكيل مفاهيمنا عن الحدود الوطنية، فضلاً عن زيادة التبادل التجاري وتنامي التبادل الثقافي والهجرة، وهي العوامل الأساسية التي تُسّهل من التعبئة الشعبوية. ويبدو أن الشعبوية هي طريقة مُحددة للتنافس على السلطة السياسية وممارستها، مع ملاحظة الكثير من الباحثين أنه ليس ثمة من الناحية الأيديولوجية وجود لنمط واحد من الشعبوية. تهدف هذه الدراسة إلى تقصي آثار الشعبوية في العلاقات الدولية من منظور المقاربة البنائية، والدافع لذلك يتلخص في الحجة التي تقول: إذا كانت للشعبوية عواقبها على السياسة الداخلية، فمن المنطقي الافتراض أن هذا التأثير يمتد أيضاً إلى السياسة الدولية مع تزايد تلاشي الحدود بين

السياستين بسبب صعود النزعات القومية والحمائية المعادية للتعاون الدولي وللمؤسسات الدولية، والذي ظهر واضحاً أثناء مواجهة جائحة كورونا.

في الواقع، تسعى الدراسات الأكاديمية الحديثة في العلاقات الدولية إلى تقديم نظرية متماسكة عن الشعبوية تفسر نجاح القوى الشعبوية وإخفاقها. إذ على الرغم من الثراء في الدراسات حول الشعبوية، لا تزال جوانب مهمة تحتاج إلى البحث المعمق، مثل: تعبئة الشعبوية للناخبين ضد التعاون الدولي والمؤسسات والترتيبات ما فوق الوطنية، وأيضاً التفاعل العابر للحدود بين الشعبويين أنفسهم وكيفية استفادة بعضهم من تجارب الآخرين. وهو ما يجعل الشعبوية ظاهرة عالمية تحتاج إلى المزيد من البحث في آثارها، خصوصاً في ظل العولمة ووجود تراكم معرفي بشأنها. ويبدو أن إشكالية هذه الدراسة تنحصر في الإجابة على السؤال الآتي: ما هو التأثير الذي تمارسه الشعبوية على النظام الدولي الليبرالي من وجهة نظر المقاربة البنائية كأحد النظريات الرئيسية في حقل العلاقات الدولية، وخصوصاً في افتراضاتها حول عنصري الهوية والخطاب التي تتشكل من خلال التفاعلات الاجتماعية؟ مبدئياً، تفترض دراستنا هذه وجود تأثيرات للشعبوية في العلاقات الدولية، خصوصاً في مواضيع جوهرية كالتعاون الدولي، والمنظمات الدولية، فضلاً عن المشكلات العالمية مثل الفقر والهجرة والتغير المناخي والركود الاقتصادي وغيرها. وعليه، فإن البحث في تلك التأثيرات من وجهة النظر البنائية هو هدف هذه الدراسة.

المطلب الأول/ الشعبوية، مقاربة معرفية

إن أي محاولة منهجية لتقييم أثر الشعبوية في العلاقات الدولية ينبغي أن تبدأ بمقاربة معرفية لفهم الشعبوية، كونها تتراوح بين كونها أما أيديولوجيا أو أسلوباً خطابياً أو استراتيجية سياسية للوصول للحكم وتشمل في الوقت عينه يمين الطيف السياسي ويساره، فيما تشكو الدراسات الاكاديمية من افتقار المفهوم للدقة [1]. إن جميع أطياف الشعبوية تتشارك في إعطاء الأولوية للشعب على حساب النخبة الحاكمة ولكنها تتمايز فيما يخص من يقع عليه اللوم حيال المشكلات المجتمعية وأيضاً كيفية حلّها. [2] تشير أدبيات الشعبوية الى اعتبار القرن التاسع عشر هو النقطة التي انطلق منها مصطلح الشعبوية، ففي روسيا انطلقت عام 1870م حركة مزارعين بميول اشتراكية هدفت لتحريرهم، وتزامنت

1- Gidron، Noam & Bart Bonikowski: Varieties of Populism: Literature Review and Research Agenda، Weather head Working Paper Series، No. 13-0004،2013 ، at: https://bit.ly/3hbtFEZ.
2- Inglehart، Ronald & Pippa، Norris: “Trump، Brexit، and the Rise of Populism Economic Have-Nots and Cultural Backlash” HKS Faculty Research Working Paper Series RWP 16-026، 2016.

مع حركة احتجاجية أخرى انطلقت في الريف الأمريكي ضد البنوك وشركات السكك الحديدية. وقد تُفهم الشعبوية عموماً على أنها نزعة سياسية تقوم على تقديس «الشعب»، وتؤمن بالتعارض بين الشعب والنخب، وان الناس على حق والنخب الحاكمة على خطأ، كما وتتمسك بمحورية دور الشعب في الممارسة السياسية

لذا تنتعش الشعبوية عبر توظيفها مشاعر الغضب عند عامة الناس.[3] لا يزال كثير من الباحثين يرى صعوبة في تحديد معنى الشعبوية، لكونها ليست مفهوماً بل مصطلحاً، لا يُستخدم للتحديد بقدر ما يتم استخدامه للتنديد (صعوبات تعريف المصطلح تتعلق في أحد وجوهها بالتوصل إلى تعريف إيجابي للشعبوية). هذا الاستخدام يختلف بحسب التقاليد السياسية السائدة في البلاد، فبينما تشير الشعبوية في أميركا اللاتينية إلى الحركات اليسارية، فإنها في أوروبا تعني عادة اليمين المتطرف.[4] في الواقع علينا أن نميز ما بين نوعين من الشعبوية: الأول الشعبوية القائمة في العالم الثالث كامتداد لعصر القوميات، الذي انحسر في أوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي استطاعت أن تصمد وتتكيف مع كل المستجدات العالمية بما في ذلك عصر العولمة الذي بدأ في ثمانينيات القرن الماضي، كما هي الحال في الدول العربية، والنوع الثاني هو الشعبوية التي تنامت في الولايات المتحدة الامريكية وأمريكا اللاتينية والدول الأوروبية التي وصلت إلى طور الدولة ما بعد القومية، ولذلك لا يبدو أنه من الصواب تقييم هذين النوعين من الشعبوية على ذات المقياس، إذ أن النوع الأول يتبنى خطاباً شعبوياً شمولياً، تلجأ له حكومات ديكتاتورية لفرضه بأساليبها القمعية، فيما النوع الثاني فإن الخطاب الشعبوي فيه يستهدف التحركات القومية تحت مستوى الدولة، والتي تتبنى توجهات سياسية انفعالية تتناقض مع معايير العولمة، ويصل أصحاب هذا الخطاب إلى الرقعة السياسية الفاعلة بطريقة ديمقراطية، وبالاستفادة من الوضع السياسي الاجتماعي والاقتصادي القائم في الدولة.[5] من غير الواضح ما إذا كان الخطاب الشعبوي مجرد خطاب، أم استراتيجية للتعبئة السياسية والثقافية والاقتصادية، أم شيئاً يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك، بحيث يجعلها ظاهرة أكثر دواماً كشكل من أشكال الأيديولوجيا السياسية أو القومية. ويعرّف كاس موده (Cas Mudde)

3 - حسام أبو حامد: الشعبوية من المصطلح الى المفهوم، 2019، متاح على الموقع: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10

4- المصدر السابق.

5- عمر بقبوق: شعبوية أم شعبويات؟، متاح على الموقع: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/here-now/2019/10/10

الشعبوية بأنها «أيديولوجيا» تعتبر المجتمع منقسماً في نهاية المطاف إلى مجموعتين متجانستين ومتعاديتين، «الشعب النقي» مقابل «النخبة الفاسدة»، وتذهب أيضاً إلى أن السياسة ينبغي أن تكون تعبيراً عن الإرادة العامة للشعب.[6]

من جهته يرى جان وارن مولر (Jan-Werner Muller) أن السياسة بطبيعتها شعبوية، وفي رأيه أن الشعبوية هي إعادة طرح الأسئلة التي لا يستطيع الآخرون طرحها، بل ويسكتون عنها تخوفاً من المساس بالنظام القائم للدولة. كما يحاجّ (مولر) أن مفهوم الشعبوية لا يتخذ المضمون نفسه في كل مكان؛ حيث أن الشعبوية في أمريكا تختلف عنها في أوروبا؛ فالمواطنون في الولايات المتحدة الأمريكية يتعاملون مع الخطاب الشعبوي بوصفه خطاباً تقدمياً بينما في أوروبا فهو خطاب رجعي.[7]ويطلق إدوارد تشيلز (Edward A. Shills) على الشعبوية مصطلح «الديمقراطية المفرطة» ويعّدها تهديداً حقيقياً لمراكز القوة والسلطة في المجتمع واستقلال القضاء والقانون. [8] من جهته يتناول أيمستو لاكلاو (Emesto La-clau) الشعبوية من منظور مختلف فيرى أن الشعبوية هي جوهر السياسة؛ وذلك من خلال فرضية مفاداها أن الديمقراطية الليبرالية هي سبب كل مشكلات المجتمع. [9] فيما ذهب مايكل كازين (Michael Kazin) الى أن الشعبوية هي عقيدة أو أسلوب، أو استراتيجية سياسية أو حيلة تسويقية، أو مزيج من كل ما تقدم.[10] ويصف سيمور مارتن ليبسيت (Seymour Martin Lipset) ، وهو من كبار منظري التحديث، الشعبوية بأنها «تعبير سياسي عن القلق والغضب لدى أولئك الذين يرغبون في العودة إلى الحياة الأبسط لفترة ما قبل الحداثة».[11] ويأتي فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) برؤية مختلفة تماماً عن الشعبوية قائلاً أنها «وصف تطلقه النخب السياسية على السياسات التي يدعمها المواطنون العاديون غير المتوافقين مع تلك النخب»، وبناءً على ذلك يُفضل فهم الشعبوية على أنها «رد فعل النخب التي تواجه مطالب سياسية تتجاوز قدرتها على التصرف بناء عليها».[12]

6- كاس موده وكريستويل كالتواسر: مقدمة مختصرة في الشعبوية، ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2020، ص

7- Muller، Jan-Werner. “Defending Democracy within the Eu.” Journal of Democracy، Vol.24 No.2،2013.

8- Edward A. Shills:” populism and the Rule of law” University of Chicago law school conference on jurisprudence and politics، conference series، No15.

9- Emesto Laclau: On Populist Reason (London: Verso،2005) ، Chantal Mouffe: The Return of the Political،2005.

10- Michal Kazin، “Trump and American populism: old whine، new bottles” ، Foreign Affairs، No. 5 (November/December 2016).

11- عُلا عطية عيسى: الشعبوية وأسباب ظهورها،2024، متاح على الموقع: https://shafcenter.org/ .

12- المصدر السابق.

لطالما تمَّ التعاطي مع الشعبوية كأحد مكونات الفاشية والديكتاتورية وحتى الديمقراطية الشعبية. ولكن الباحثين في هذه الظاهرة توصَّلوا إلى أن الشعبوية تتضمن ملامح من كل ما ذكرناه، والشعبوية كحركة تتجلى بأبهى صورها عندما تتمكن القوى التي تتبنى الخطاب الشعبوي من الإمساك بالسلطة وفرض نفسها كمناخ عام يسود المجتمع، وتلك الصورة نجدها في المجتمعات التي تتحقق فيها وحدانية انقياد المجتمع خلف قادته، والقائد الشعبوي هو القائد الآتي من الماضي مما يُعد مقدساً في الوجدان الجماهيري.

تعد الظاهرة الشعبوية أحد أبرز أمراض الأنظمة الديمقراطية في واقعنا الراهن، وتقوم على سياسات وشعارات وحملات تحريض باسم «الشعب»، لكنها بالنتيجة تؤدي إلى تخريب الواقع السياسي والاجتماعي وإلى هدم مؤسسات الدولة. فالسياسات الشعبوية تضع رجلاً أو فئة معينة حزبية أو طائفية أو عرقية محل الدولة ومؤسساتها، وهي تريد تجاوز الدولة والدساتير والقوانين باسم «إرادة شعبية» مزعومة، وطبعاً أبرز النتائج الكارثية هي تهديم الدولة ليحل محلها «قائد أو عائلة أو قبيلة أو طائفة أو عرق»، وفِي التاريخ أمثلة كثيرة عن القادة الشعبويين على مجمل خارطة العالم. [13]

وفي جميع الأحوال، تظل السمة الجوهرية للشعبوية أنها خطاب مانوي (*)، يطابق الخير بالإرادة الموحدة لعموم الشعب، والشر بنخبة متآمرة على ذلك الشعب. [14]

13- حسام أبو حامد، مصدر سبق ذكره.

(*) الفلسفة المانوية: هي ديانة قديمة تقسم كل شيء إلى خير أو شر. وتعني أيضاً «الازدواجية»، وتأتي كلمة المانوية من كلمة ماني، وهي اسم أحد الرسل الذي عاش في بلاد ما بين النهرين في أربعينيات القرن الثالث، والذي علّم ديناً عالمياً قائماً على ما نسميه الآن الثنائية. إذا كنت تؤمن بفكرة المانوية عن الثنائية، فأنت تميل إلى النظر إلى الأشياء على أنها ذات جانبين متعارضين. بالنسبة للمانويين، يمكن تقسيم الحياة بدقة بين الخير والشر، والنور والظلام، أو الحب والكراهية، متاح على الموقع: https://www.vocabulary.com/dictionary .

14 - Kirk A. Hawkins: “Is Chavez Populist?” Comparative Political Studies، Vol.42، No.8، 2009، P. 1042.

المطلب الثاني/ المقاربة البنائية في العلاقات الدولية

عندما قام نيكولاس أونوف (Nicolas Onuf) لأول مرة بتقديم مصطلح البنائية الى تخصص العلاقات الدولية في كتابه « عالم من صُنعنا (World of our making) »، جادل بأن البنائية ليست نظرية Theory" « بل مقاربة «Approach» أي طريقة لدراسة العلاقات الاجتماعية.[15] لكن صعود البنائية في الواقع ارتبط بمقالة ألكسندر وندت (Alexander Wendt) عام 1992م، والتي عنوانها «الفوضى هي ما تصنعه الدول من الفوضى (Anarchy is what states make of it) »، والتي تابعت وفسرت التغييرات السياسية الكبرى التي واكبت نهاية الحرب الباردة.[16] لقد تبنى العديد من الباحثين الفكرة التي تقول «إن العلاقات الدولية لا تتأثر بسياسة القوة فحسب بل بالأفكار أيضاً»، وسُمّى هؤلاء بـ «المُنظرين النقديين»، وقد ضمت النظرية النقدية مجموعة من النظريات بضمنها البنائية. وكانت جميعها تؤكد على أن البُنى الأساسية للسياسة الدولية هي بُنى اجتماعية وليست مادية.[17] إن الافتراضات الأساسية للبنائية ومنطلقاتها تختلف تماماً عن الافتراضات التي تقدمها النظريات التقليدية الأخرى حول كيفية حدوث التحولات في سلوك الدول. لقد اعتمدت البنائية بعض الأسس الإبستمولوجية (*) لتوضيح أن الواقع مبني اجتماعياً، ومن ثم لا يمكن اعتماد التفاعل العقلي ضمن حدود مادية بحتة لوحدها لتفسير التحولات الكبرى الجارية في السياسة الدولية. وأوضحت أنه يمكن من خلال معرفة كيفية تبلور الأفكار والهويات لدى المجموعات المختلفة فقط بلورة الطريقة التي تنظر بها تلك المجموعات أو الدول لمختلف المواقف، وتستجيب لها تبعاً لوعيها وإدراكها لهويتها ومصالحها المتغيرة. لقد شّكل مفهوما القوة والمصلحة أساس التنظير الواقعي حول السياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية وكان المقصود بالقوة هو القوة العسكرية فقط. أما المصلحة الوطنية فكان يُقصد بها الرغبة الأنانية في الحصول على الأمن والقوة معاً أو الثروة. لقد أضاف الليبراليون المؤسسات، على أنها عوامل مادية مؤثرة في السياسة الدولية.

15- كارين فيرك، البنائية، في: تيم دان وآخرين، نظريات العلاقات الدولية، التخصص والتنوع، ترجمة ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2016، ص 447.
16- المصدر السابق، ص 449.

17- جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، في: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، ط1، 2004، ص 433.
(*) الأبستمولوجيا (Epistemology): هي فرع من فروع الفلسفة يتعامل مع أصل المعرفة وطبيعتها وتبدأ بالسؤال عن كيف تصبح لدينا معرفة عن العالم، المصدر: تيم دان وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص443.

وفي مقابل هذه العوامل يتم التركيز في العلاقات الدولية الآن على عامل رابع هو الأفكار.[18] إن الفرضية الأساسية التي يشترك فيها جميع البنائيين هي أن المصالح ليست حتمية أو ثابتة، وإن سلوك الدول في البيئة الدولية تشكله الهوية والمعايير الاجتماعية للنخبة الحاكمة. كما يمكن تغيير الثقافة من خلال الأفكار والممارسة (التفاعل)، لذا فالمصلحة الوطنية هي نتاج التفاعل الاجتماعي للهوية الوطنية.[19] لقد أشار ألكسندر وندت (Alexander Wendt) الى أحد المفاهيم المركزية في البنائية وهي قضية التركيب بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي وهو ما عُرف بـ «التذاتانية» (Intersubjectivity)) وأعطى لها مثالاً على النحو الآتي: إن الأفكار الشخصية لرئيس دولة ما وسلوكه بناءً عليها في مجال العلاقات الدولية لا دلالة لها إلا إذا كانت تلك الأفكار نتاج مجتمع يشترك فيه الجميع بالقيم والأفكار والثقافة نفسها. ومن ثم لا تنشأ مصالح الدولة فقط مما هو ذاتي أو موضوعي كلٌّ على حدة، بل من تداخل هذين العنصرين أي التذاتانية حيث تتشكل البُنية الاجتماعية من ثلاثة عناصر رئيسة هي:[20]

1/ المعارف التي يشترك بها الأفراد والجماعات.

2/ المصادر المادية التي تتوفر لديهم والتي تنعكس على سلوكهم.

3/ ممارسات وسلوك الفواعل (الأفراد والجماعات).

لقد بذل البنائيون جهداً كبيراً لإيضاح تأثير العوامل غير المادية كالثقافة والأفكار والقيم والمعايير والخطاب في العلاقات الدولية، والتي أهملها منظرو النظريات الواقعية والليبرالية السابقون بوصفها مجردة من الواقعية في وقت كانت الاهتمامات تتركز أساساً على العوامل المادية. ومن خلال البحث الإمبريقي (التجريبي) الطويل، كشف البنائيون عن ضعف القدرة التفسيرية للتنظير الوضعي، مما أبرز إمكانية حدوث تغيير دولي كبير يقوده الأفكار للإجابة على العديد من التساؤلات المتعلقة بالأحداث السياسية العالمية، وليس كلها.[21]

18- ألكسندر وندت: النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة عبد الله جبر صالح العتيبي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2005، ص139.

19- كارين أز منغست وإيفان م. أريغوين: مبادئ العلاقات الدولية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الفرقد للطباعة والنشر، دمشق، 2013، ص133.

20- عزيز نوري: الواقع الأمني في منطقة المتوسط (دراسة الرؤى المتضاربة بين ضفتي المتوسط من منظور بنائي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012، ص15.

21- كريستيان رويس سميث، البنائية، في: سكوت بورتشيل وآخرين، نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد صفار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014، ص 346.

وفي هذا السياق، أصبحت البنائية موضوع اهتمام عند تحليلها للأحداث الدولية بالمعيار القيمي، وكيفية تأثيرها في المفاهيم الراسخة في السياسة الدولية مثل السيادة على سبيل المثال. ويظهر هذا بشكل واضح من خلال مفهوم التدخل الدولي الإنساني الذي أصبح عنصراً مهماً في السياسة الدولية بعد الحرب الباردة، حيث أصبح التدخل الدولي الإنساني في بعض الأحيان واجباً أخلاقياً قبل أن يكون سياسياً. [22] ويشير البنائيون إلى أن المعضلات الأمنية التي تؤدي إلى الصراعات على المستوى الدولي لا تنتج قطعاً من حالة الفوضى في النظام الدولي كما يراها البنائيون، بل هي نتيجة لصراعات الهوية الاجتماعية للأفراد أو القادة، وهي نتيجة لعوامل غير مادية لا تُعطى مُسبقاً، بل تُشكل صيغة تحكمية تعكسها النخب السياسية من خلال خطابها السائد في المجتمع، حيث يستخدمون تلك الصيغة لتعزيز أهدافهم المصلحية المحددة. [23]

بناءً على ما تقدم، تشير الهويات إلى الفاعلين، في حين تعكس المصالح رغباتهم وإرادتهم. وتسبق الهوية المصلحة، حيث لا يمكن الفصل بينهما، إذ يكمل كل منهما الآخر. فالهويات، إذن، تشكل مُدركات الأفراد والقادة، وتتأثر بخلفياتهم الثقافية.[24] إن التصورات التي تكوّنها الدول عن نفسها، وعن غيرها من الدول، وعن النظام الدولي وموقعها فيه، تمثل هوية الدولة. وترتبط هذه الهوية، من جهة أخرى، بتصورات الدول الأخرى وأحكامها المُسبقة عنها. لقد رفض ألكسندر وندت (Alexander Wendt) مبدأ الاعتماد الذاتي على النفس الذي تقدمه النظريات الوضعية، واعتقد أن غالبية الدول ترى نفسها اليوم جزءاً من المجتمع الدولي. وتتجاوز هذه الرؤية المقاربة النفعية والأنانية التي تطرحها النظريات الوضعية، إذ إنها تمثل وسيلة فعالة لحل مسائل الصراع والعنف الدوليين. ومن خلال هذا السلوك، تؤيد الدول الأفكار والمعتقدات ذات البُعد الدولي، والمتفق عليها ضمن الجماعة الدولية، مثل قواعد القانون الدولي والأعراف الدولية، مما يساهم في بناء المنظومة الدولية وتطورها. ولأن الدول قد تبنّت هذه المعايير داخلياً وتماهت معها، ينشأ عن هذا التفاعل مفهوم الثقافة الدولية، التي تتكون من هذه المعايير والقيم والمبادئ المشتركة بين الدول. [25]

22- حاتم أحمد موسى: النظرية البنائية في العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة 1991-2015، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، 2017ص108.

23- حسن الحاج أحمد: العالم المصنوع، دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد4، الكويت ،2005، ص 110.

24- المصدر السابق نفسه، ص175.

25- جيرار ديسوا، دراسة في العلاقات الدولية، ج2، النظريات الجيوسياسية، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق، 2015، ص 225-224.

المطلب الثالث/ الشعبوية ومُخرجات النظام الدولي الليبرالي

عندما انهار الاتحاد السوفييتي وتعاظمت العولمة، وُطبِّقت سياسات الليبرالية الجديدة على نطاق عالمي، لم تعد الرأسمالية معنية بالديمقراطية والمكتسبات الاجتماعية، بل بدأت تتململ من آثار الحرب العالمية الثانية والتزاوج بين الرأسمالية والطبقة العاملة، الذي مثل خروجاً عن الرأسمالية كتشكيلة إنتاجية. ونتيجة لذلك، كان لا بد من التراجع عن تلك الحقوق والعودة إلى علاقة مباشرة بين الرأسمالي والعامل. فقد اتجهت الليبرالية الجديدة، في شقها الاجتماعي، نحو تقليص المكتسبات الاجتماعية؛ وفي شقها السياسي، نحو تفريغ الديمقراطية من مضمونها؛ وفي شقها الاقتصادي، نحو تعزيز الرأسمال المالي والمضاربات واستغلال الآخرين. وعليه، في هذا السياق، برزت العودة إلى الأحاديات، والشعبويات، وسياسات الأعراق والهويات والأديان. ويرى بعض الباحثين أن الشعبوية تخدم سياسات الليبرالية الجديدة، لأنها ليست بديلاً عن الحداثة أو الليبرالية أو الديمقراطية أو العقلانية أو النخب، كما أنها ليست بديلاً عن الاشتراكية، سواء المتحققة أو المفلسة. بل إنها حركة سياسية تستغل المفاهيم الكبرى لإثارة غرائز الناس، وشحذهم، والسيطرة عليهم، وضبطهم، وتفريغ مطالبهم الحقيقية، لا سيما في ظل تفاقم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعاني منها الفئات العامة. ومن هنا، فإن الشعبويات، في جوهرها، لا تتعارض مع الليبرالية الجديدة، بل تتكامل معها في كثير من الجوان. [26] يرى بعض الباحثين أن الشعبوية هي نتاج لثقافة متراكمة لا ترى في الواقع سوى وقود لها، وذلك في سياق فشل المشاريع الرسمية في تحقيق الرفاه، وفي إرضاء النزعات المتطرفة داخل الأيديولوجيات الاجتماعية والقومية والدينية. ففي كل مجتمع، هناك من يسعى إلى خلق خطاب يستميل الفئات الأكثر حاجة، والأشد تعصباً، والأكثر معاناة. وضمن هذا التصور، باتت الظاهرة الشعبوية متعولمة، ومتكررة، وقابلة للتمثل في كل البيئات الخصبة. [27] لا شك أن أي حديث عن الشعبوية العالمية لا يمكن فصله عن النظام الدولي القائم، حيث إن الفعل وردّ الفعل داخل هذا النظام يخضع لقاعدة الأواني المستطرقة. فقد شهد العالم، خلال الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الثانية ونهاية الحرب الباردة، تراجعاً في الخطاب الشعبوي، لا سيما مع نجاح أوروبا في بناء مؤسسات إقليمية، أبرزها الاتحاد الأوروبي، الذي اضطلع بمهام عديدة، كان من بينها محاولة تكريس «النزعة الأوروبية» في

26- عمار ديوب: كلام عن الشعب وصمت عن الرأسمالية، متاح على الموقع: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10

27- علي سفر: عولمة الشعبوية في ميزان ما هو «متاح حالياً»، متاح على الموقع السابق.

مواجهة القومية. ومع نهاية الحرب الباردة، شهد العالم ثورتين كبيرتين: ثورة التقانة وثورة الاتصالات، إلى جانب التبشير بـ «نهاية التاريخ»، وفقاً لفرنسيس فوكوياما. وقد رافق ذلك طرح منظومة مفاهيمية ذات طابع ثقافي وإنساني، تجلّت في مفهوم «المواطن العالمي». غير أن العقود الثلاثة الماضية أظهرت أن الصراعات في مجال الاقتصاد الدولي تفوق في تأثيرها الأطروحات المفاهيمية، التي دعمتها بقوة الجهات المستفيدة، وعلى رأسها الشركات العابرة للجنسيات والثقافات.[28] تُطرح الشعبوية لدى كثيرين وكأنها الملاذ الأخير لمناهضة العولمة. فالحروب التجارية التي شنتها الولايات المتحدة ضد الصين، وتزايد سياساتها الحمائية، فضلاً عن المزيد من الإجراءات الانعزالية في مختلف المجالات، كلها عوامل تعزز المخاوف من احتمال توقف تفاعلات العولمة أو حتى تراجعها. ويثير ذلك تساؤلات حول مستقبل النظام التجاري العالمي، وإمكانية تفككه إلى مناطق أصغر ذات تكامل اقتصادي محدود، فضلاً عن احتمال تحلل الإنترنت إلى شبكات داخلية مغلقة، أو أن تصبح التقنيات التكنولوجية المستقبلية أقل طابعاً عالمياً مع قيام العديد من المناطق بتطوير معاييرها الخاصة للنمو والتنفيذ وفقاً لقيمها وهوياتها.

يمكن لهذا التحول أن يؤدي إلى تخصيص رأس المال بكفاءة أقل وتقليص حجم الأنشطة الاقتصادية العالمية. ورغم ذلك، فقد تم بالفعل اتخاذ خطوات رئيسية لدمج الدول والاقتصادات في تكتلات إقليمية متنوعة داخل النظام السياسي والاقتصادي العالمي. كما أن سلاسل الإنتاج المعقدة، التي عززت التجارة العالمية في ظل العولمة، لم يعد تفكيكها يوفر سوى فوائد محدودة مقارنة بتكاليفه المتزايدة.[29] لا نشك أن للشعبوية تداعيات وتأثيرات مهمة على النظام الدولي الليبرالي القائم، ندرج بعضها وكما يأتي:[30]

1/ تقويض التعاون الدولي: الشعبوية تُضعف المؤسسات الدولية التي تُعتبر ركيزة للنظام العالمي القائم بكل عيوبها ومميزاتها.

28- حسام ميرو: الشعبوية واختلال التوازن في النظام الدولي، متاح على الموقع السابق.
29- صلاح علي: مستقبل العولمة في عصر الجيل الثاني من الحروب التجارية، 2021، موقع المستقبل. متاح على الرابط: https://2u.pw/1X4R9i .
30- عزمي بشارة: الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية، مجلة سياسات عربية، العدد 40، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019، ص ص 33-8.

2/ تعزيز النزاعات: الخطابات الشعبوية القائمة على الهوية القومية قد تؤدي إلى صراعات داخلية ودولية خصوصاً في مجال الهجرة والإرهاب والتغير المناخي وغيرها من المشكلات العالمية التي تتخطى قدرة أي دولة على حلّها لوحدها.

3/ تراجع العولمة: قد تُبطئ الشعبوية عملية العولمة أو تُعيد تشكيلها بشكل يتوافق مع مصالح الدول الكبرى التي تسعى على الدوام لاستمرار هيمنتها العالمية وبكل الوسائل المتاحة.

4/ فقدان الثقة في الديمقراطية الليبرالية: حيث يتعذر على ممثلي الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني وجماعات المصالح ممارسة دورهم في التوسط بين المطالب الشعبية والمؤسسة الحاكمة، في ظل التخوين الشعبوي.

المطلب الرابع/ تحليل الخطاب والهوية بين الشعبوية والبنائية

أولاً/ الخطاب في الشعبوية: مع بدايات عصر ما بعد الحداثة وما أنتجته من تأثيرات فكرية ونضالية على الأنظمة السياسية، تغير الخطاب السياسي ليصبح أكثر استهدافاً للمشاعر الجماهيرية والشعبية. في هذا السياق، ظهرت «الشعبوية» كمفهوم يدّعي تمثيل إرادة «الشعب» في مواجهة «النخبة الحاكمة». ومع ذلك، فإن هذا الادعاء غالباً ما كان يخدم مصالح خاصة أكثر من كونه تعبيراً حقيقياً عن الإرادة العامة، على عكس ما يدّعيه قادة الخطاب الشعبوي. وقد ذهب بعض الباحثين، مستندين إلى تصور ميشيل فوكو (Mi-chel Foucault) القائل بأن «أينما توجد قوة مهيمنة، توجد مقاومة»، إلى اعتبار الشعبوية شكلاً من أشكال المقاومة للوضع القائم.[31] ويرى البعض إن بُنية الخطاب الشعبوي تقوم على مجموعات بشرية مصابة بحالة من التمركز على الذات ولديها خطاب كراهية موّجه، ومتوهمة في الوقت نفسه أن لديها تجانس كتلوي.[32] إن مجموعة الأفكار التي يتعامل بها الخطاب الشعبوي تبدو هشّة إلى درجة أنه لا يمكن لها أن تُنتج أيديولوجية ثابتة أو متماسكة. وبالنتيجة، فإن الشعبوية ترتكز في خطابها على عنصرين أساسيين: الأول، اعتبار النخب فاسدة حُكماً في مقابل شعب مثالي حُكماً (وذلك بغض النظر عن كون هذه النخب ثقافية أو سياسية، معارضة أو في موقع السلطة). والثاني، أن لا مكان سوى للإرادة الشعبية.

31- جمانة دحمان: فن الخطاب الشعبوي، متاح على الموقع: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/here-now/2019/10/10 .

32- سامي داوود: الشعبوية في علاماتها البنيوية، متاح على نفس الموقع السابق.

والغريب في هذا السياق أن الشعبوية تُفرز نخبها، وأن نخب الشعبويين يتهمون خصومهم بالنخبوية، في حين يتهرّبون هم منها.

يعتمد الخطاب الشعبوي عموماً على دغدغة مشاعر الشعب ومحاكاة الطبقة المتوسطة. ولا يتكبد الشعبوي عناء التحدث بلغة سياسية ومصطلحات قد يصعب على البعض فهمها أو يسأم البعض الآخر من جملها المعقّدة وطريقة إلقائها المملّة والمكررة. لذا، ينحاز الشعب لمشاعره قبل عقله نتيجة فيض الشعارات الوطنية الزائفة التي يوجهها الخطاب الشعبوي.[33] يُعد الخطاب الشعبوي خطاباً طوباوياً يُبشّر بالعودة إلى الشعب الذي يستعيد سيادته التي انتزعتها النخبة. وهذا ما قد يجعل الخطاب الشعبوي فاشياً، لأنه ينبعث كنقد لانحراف النيوليبرالية رغم أنه لا يُقدّم بديلاً مؤسساتياً للنظام السياسي، بل يربط الإصلاح بشخص الزعيم الشعبوي. كما يتضمن هذا الخطاب جوانب أيديولوجية، لذا يمكن استخدامه من اليسار واليمين معاً.[34] يتضمن الخطاب الشعبوي معاداة العولمة من خلال التركيز على الخاسرين في العولمة في مسائل الدخل والسكن وتأمين الوظائف ومزايا الرعاية الاجتماعية وغيرها. وتدّعي الشعبوية أن العولمة تولّد أشكالاً جديدة من التفاوت بين الدول، فتوسّع الانقسامات الحالية بين رأس المال والعمالة، وبين العمالة الماهرة وغير الماهرة، وبين أصحاب العمل والعمال، وبين المنتجين على المستوى العالمي والمنتجين المحليين.[35] وقد ذهب إرنستو لاكلاو (Ernesto Laclau) إلى أن الشعبوية هي استراتيجية خطابية محددة يُبنى من خلالها هوية جماعية لـ «الشعب» و«الإرادة الشعبية»، ومن خلالها توضع المطالب الاجتماعية المختلفة والمُحبطة في تعارض مع الآخر، وهو النظام القائم ومؤسساته التي تتحمل اللوم في الإحباط الناتج من عدم تلبية هذه المطالب.[36] وفيما يتعلق بتأثير الخطاب الشعبوي في العلاقات الدولية، يمكن للشعبوية أن تحشد الشعب ضد النخب عبر الوطنية، مثل النخب الموجودة في المؤسسات الإقليمية والدولية أو الشركات العابرة للحدود أو حتى المنظمات غير الحكومية، فضلاً عن الإرهابيين والمهاجرين. كما يمكن لها أن تتهم النخبة بالخيانة من خلال التوافق مع المصالح الأجنبية بدلاً من تمثيل الشعب وتعزيز مصالحه.[37]

33- جمانة دحمان، مصدر سبق ذكره.

34- عبد العلي حامي الدين: الشعبوية ظاهرة عالمية تهدد الديمقراطية وتتوعد العيش المشترك، متاح على الموقع: https://arabi21.com/story/1517802 .

35- Bertijan Verbeek & Andrej Zaslove: “Populism and Foreign Policy” ، in: Kaltwasser et al. (eds). Pp.384-405.

36 - Emesto Laclau: On Populist Reason، London: Verso، 2005.

37- فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز، مصدر سبق ذكره، ص370.

ثانياً/ الخطاب في البنائية: لقد أولت البنائية الخطاب الاجتماعي السائد أهمية كبرى لاعتقادها أنه يُشكل المعتقدات والمصالح ويؤسس لأنواع مختلفة من السلوك، التي تحظى بالقبول الاجتماعي بوصفها تمثل مصدر التحول والتغيير الاجتماعي في الدولة، ولاحقاً تمثل هويتها المميزة على النطاق الدولي.[38]

لقد كان لظهور الفواعل من غير الدول (Non-State actors) أثر مهم في إعطاء صيغة جديدة للتفاعل العالمي، فضلاً عن ظهور التركيز على قوة الخطاب (اللغة) الموجه ودوره في بناء وإدراك الواقع الدولي. كما كان لظهور جيل جديد من الباحثين أمثال (Klotz، Hall، Tan-nenwald، Reus-Smith)، وتبنيهم للجانب التجريبي (Empirical) بهدف التطوير النظري للبنائية، دور حاسم في تقديم تفسيرات وتحليلات جديدة للتفاعلات العالمية. وذلك عبر مراجعة مواضيع مثل أسلحة الدمار الشامل، أو دور وطبيعة الثقافة، ومضمون الفوضى وغيرها، وربطها جميعاً بتصورات بديلة لمفاهيم مثل الهوية والمصالح والخطاب والقيم والأفكار.[39]

ويؤكد صاموئيل هنتنجتون (Samuel P. Huntington) بأن «المصالح الوطنية تُشتق من الهوية الوطنية، وعلينا أن نعرف من نحن قبل أن نتمكن من معرفة ما هي مصلحتنا». ما يعني أنه يربط بين معرفة وتحديد الهوية، وبين معرفة وتحديد المصالح. ويُضيف: «أنه في العالم الجديد، الهوية الثقافية هي العامل الرئيس الذي يُشكل تقاربات الدولة وعداءاتها، والهوية هي عامل صراع ومنافسة بين المختلفين، وعامل تعاون وانسجام بين المتشابهين».[40] يُعطي البنائيون أهمية كبيرة لسلوك الفاعلين مثل صانع القرار عندما يقدم قضية ما كمسألة أمنية (Securitization) في محاولة لإكسابها الأهمية الفائقة. أي أن فعل اللغة (الخطاب) (Speech Act) له دور أساسي، لأنه يعكس هوية المجتمع من خلال الثقافة والقيم السائدة فيه، ومن ثم المصالح. فالعدو من المنظور الأمني يرتبط في الأساس بتصوراتنا وأفكارنا المسبقة عنه أولاً، وبمقدار ما يشتمل عليه من قوة ثانياً. وهنا يتبين بوضوح أن الأمن يحمل مدلولاً اجتماعياً أكثر منه مدلولاً مادياً بحتاً، وأن الإدراك الجماعي هو المتحكم في تشكيل وتوجيه التهديد الذي تواجهه الدولة والمجتمع.[41]

38 - حاتم أحمد موسى، مصدر سابق، ص 75.

39- أمينة مصطفى دلة، الدراسات الأمنية النقدية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والأعلام، جامعة الجزائر، 2013، ص ص28-27.

40- هة ذار صابر أمين، إشكالية الدولة والهوية (الدولة العراقية والهوية القومية الكردية أنموذجاً)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2008، ص 210-205.

41 - جويدة حمزاوي: التصور الأمني الأوربي، نحو بُنية أمنية شاملة وهوية إستراتيجية في المتوسط، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، 2011، ص 45.

تُرجع البنائية إخفاق النظريات الوضعية في تقديم تفسيرات مناسبة للأحداث الدولية بعد الحرب الباردة، وخصوصاً النزاعات الداخلية منها، إلى إهمال تلك النظريات لمتغير الهوية على الأغلب، بوصف أغلب تلك النزاعات في الواقع هي نزاعات حول عنصر الهوية، إلى جانب الأفكار والقيم والثقافة والإدراك. إن هذه العناصر هي التي تتشكل على أساسها مصالح الفواعل من جهة، والاتجاه الذي تعبر عنه تلك الفواعل في البيئة الدولية من جهة أخرى. فيُظهر ذلك الاتجاه أما تعاوناً أو تنافساً. لقد باتت القضية الأساسية بعد الحرب الباردة تكمن في كيفية إدراك الفواعل المختلفة لهويتها ومصالحها؛ لأن مشكلات الهوية أنتجت انقساماً حاداً في كثير من الدول. لقد باتت العوامل الهوياتية تؤدي دوراً بالغ الأهمية، وبات متخذو القرارات يعتقدون بشكل متزايد أنهم محكومون بمجموعة من القواعد والمعايير والخطاب التي تشجع أو ترفض أنواعاً معينة من السلوك السياسي.[42]

ثالثاً/ المقارنة بين الخطاب في الشعبوية والخطاب في البنائية: تبين لنا أن الخطاب في الشعبوية يُشير إلى استخدام لغة بسيطة وعاطفية تركز على تقسيم المجتمع إلى (نحن) «الشعب النقي»، و(هم) «النخب الفاسدة»، في حين أن الخطاب في البنائية يُشير إلى مجموعة الأفكار والممارسات اللغوية التي تُسهم في تشكيل وفهم الواقع الاجتماعي والسياسي. حيث إن الخطاب ليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات فقط، بل هو أداة تُنتج الهويات والمصالح والمعاني. وعليه، فالخطاب عند البنائيين هو أداة لفهم العالم، بينما في الشعبوية هو أداة للتغيير والتأثير في العالم من خلال تعبئة الناس واستقطابهم. ويُظهر الجدول (1) أدناه الفروقات في الخطاب بين البنائية والشعبوية.

42 - حاتم أحمد موسى، مصدر سابق، ص 107-108.

جدول (1) المقارنة في الخطاب بين الشعبوية والبنائية

البُعد المعرفي	الخطاب في الشعبوية	الخطاب في البنائية
الهدف	تعبئة الجماهير واستقطابهم	تفسير وفهم عملية بناء الهويات والمصالح
الطابع	عاطفي ودعائي	تحليلي وتفسيري
اللغة	بسيطة وشعبية	مُعقدة ومبنية على مفاهيم نظرية
الاستخدام	أداة للتأثير السياسي	أداة لفهم العلاقات الدولية
التركيز	تقسيم المجتمع لتحقيق مكاسب سياسية	بناء الهياكل الاجتماعية والسياسية

المصدر: من عمل الباحث

رابعاً/ الهوية في الشعبوية: لقد حدّد العديد من المختصين في الشعبوية العديد من الخصائص القياسية للشعبوية، ومنها ما يتعلق بالهوية والانقسام الثنائي للشعب بين «مجموعتين متجانستين» بينهما علاقة عداء؛ أحدهما (الشعب النقي) والآخر (النخبة الفاسدة). ويقوم الشعبويون بالتركيز على الهوية الوطنية للشعب، ويصفونه بالنقاء العرقي والأخلاقي والثقافي، وفي المقابل يصفون النخبة بأنها ليست من الشعب بل هم أجانب عنه. ويرتبط هذا الخطاب الشعبوي المكون للهوية بالحنين للماضي الذهبي، عندما كانت الأمور أفضل، والوظائف آمنة، والبلاد أكثر تجانساً، والهوية الوطنية وحب الوطن أقل إثارة للجدل، والاقتصاد تحت سيطرة الصناعات المحلية.[43] وفي الشعبوية، نجد أن أحد مواضيع الهوية التي يتم استهدافها بشكل دائم هو موضوع تزايد الهجرة والاستثمار الأجنبي. كما يُنظر إلى التعددية الثقافية بريبة شديدة، ويتم مواجهتها عبر محاولة رسم المستقبل بصورة رومانسية بالعودة إلى «ما يُفترض أنه ماضٍ أكثر يقيناً وأماناً وأخلاقية».[44] في نفس السياق ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن البناء السردي للهوية في الشعبوية يتضمن ثلاثة عناصر هي:[45]

43- فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديريك نابرز، مصدر سبق ذكره، ص ص334-333.

44- المصدر السابق، ص334.

45 - Patricia Ewick & Susan S. Silbey:" Subversive Stories and Hegemonic Tales: Toward a Sociology of Narrative" ، Law & Society Review، Vol.29، No. 2، (1995) ، P.200.

1/ إعادة سرد انتقائي لأحداث وشخصيات من الماضي.

2/ يكون ترتيب الأحداث الموصوفة ترتيباً مؤقتاً.

3/ تكون الأحداث والشخصيات مرتبطة بعضها ببعض ويجري تضمينها في المواضيع التي تصوغ المخيال الشعبي.

تشترك الشعبوية والقومية في تبني الهويات الجماعية عبر رسم الحدود السياسية بين الذات والآخر ومأسستها. ويحاجج بعض الباحثين أنه يمكن للشعبوية، وعبر الفاعل الشعبوي بوصفه الممثل الحقيقي للشعب، أن يُعيد إنتاج الهوية الوطنية الأصيلة على المستوى الداخلي والخارجي معاً، عن طريق تحديد الآخر (النخبة السياسية) الداخلية أو الخارجية ووصفه بالمتآمر مع العدو ضد مصالح الشعب.[46]

خامساً/ الهوية في البنائية: تُرجع البنائية إخفاق النظريات الوضعية في تقديم تفسيرات مناسبة للأحداث الدولية بعد الحرب الباردة، وخصوصاً النزاعات الداخلية منها، إلى إهمال تلك النظريات لمتغير الهوية، حيث يُعدّ أغلب تلك النزاعات في الواقع نزاعات حول عنصر الهوية إلى جانب الأفكار والقيم والثقافة والإدراك. إن هذه العناصر هي التي تتشكل على أساسها مصالح الفاعلين من جهة، والاتجاه الذي تُعبّر عنه تلك الفواعل في البيئة الدولية من جهة أخرى، فيُظهر ذلك الاتجاه إما تعاوناً أو تنافساً. لقد أصبحت القضية الأساسية بعد الحرب الباردة تكمن في كيفية إدراك الفاعلين المختلفين لهويتهم ومصالحهم؛ لأن مشكلات الهوية أنتجت انقساماً في كثير من الدول. من جهة أخرى، أصبحت العوامل الهوياتية تؤدي دوراً بالغ الأهمية، وأصبح متخذو القرارات يعتقدون بشكل متزايد أنهم محكومون بمجموعة من القواعد والمعايير التي تشجع أو ترفض أنواعاً معينة من السلوك السياسي.[47] لقد أكد صاموئيل هنتنغتون (Samuel P. Huntington) أن فرضيته هي «إن المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون أيديولوجياً أو اقتصادياً في المقام الأول، بل ستكون الانقسامات الكبيرة بين البشر، والمصدر السائد للصراع ثقافياً (هوياتياً).

46- فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديريك نابرز، مصدر سبق ذكره، ص 386.
47 - حاتم أحمد موسى، مصدر سابق، ص 107-108.

وستبقى الدول الوطنية أقوى العناصر الفاعلة في الشؤون العالمية، لكن الصراعات الرئيسية في السياسة العالمية سوف تحدث بين الأمم والجماعات من حضارات مختلفة، وسوف يُشكّل صدام الحضارات خطوط معارك المستقبل.[48]

سادساً/ المقارنة بين الهوية في الشعبوية والهوية في البنائية: تظهر الهوية عند الشعبويين كمفهوم استقطابي يُقسّم المجتمع إلى قسمين متضادين. في هذا السياق، تُستخدم الهوية كأداة سياسية لتوحيد فئة معينة من الناس حول قضية أو رؤية مشتركة. أما الهوية عند البنائيين فهي مفهوم ديناميكي يتشكّل من خلال التفاعلات الاجتماعية، وليست ثابتة بل تُبنى من خلال العلاقات مع الآخر (Self vs. Other)، والتصورات المتبادلة بين الدول والفاعلين الدوليين الآخرين. يوضح الجدول (2) أدناه، الفروقات بين الشعبوية والبنائية بخصوص الهوية.

جدول (2) المقارنة في الهوية بين الشعبوية والبنائية

البُعد المعرفي	الهوية في الشعبوية	الهوية في البنائية
التكوين	تُبنى على التقسيم الثنائي والاقصاء	تتشكل من خلال التفاعلات الاجتماعية والخطاب
الطابع	ثابتة واستقطابية	متغيرة وديناميكية
الهدف	تعبئة الجماهير لتحقيق أهداف سياسية	فهم المصالح والهويات في العلاقات الدولية
اللغة	بسيطة وعاطفية	معقدة وتأويلية (تحتاج للتفسير)
النظرة للآخر	الآخر هو العدو أو التهديد	الآخر يُسهم في تشكيل الهوية بطريقة تفاعلية

المصدر: من عمل الباحث

48 - Alexander Wendt: Constructing International Politics، International Security، Vol.20، No. 1 (Summer،1995) ، P 71-72.

الخاتمة والاستنتاجات/

لقد وُلِدت الشعبوية في عصور المشاركة الشعبية والتحشيدات الاجتماعية والتعبئات السياسية، فكان انبثاقها مع الأزمات الأولية للديمقراطية التمثيلية وتزايد حالات الصراع والتنافس على السلطة من خلال تفاعل آليات الديمقراطية التمثيلية التي تركت الشعب وحيداً يواجه المتصارعين على السلطة وقبضهم على مقاليدها، ما أفرز وبقوة التيارات الشعبوية على اختلاف توجهاتها. لقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها:

1/ يتبين لنا مما سبق أن السياسات الداخلية تتشابك بنيوياً مع السياسات الخارجية، وأن وجود تأثيرات للشعبوية في العلاقات الدولية أمر لا يمكن نكرانه، خصوصاً في مواضيع جوهرية مثل التعاون الدولي، والمنظمات الدولية، ومواجهة المشاكل العالمية مثل الفقر والهجرة والتغير المناخي والركود الاقتصادي وغيرها.

2/ على الرغم من أن الشعبوية ليست نظرية في العلاقات الدولية، إلا أنها تشترك مع البنائية في مفردتي الخطاب والهوية، اللتين تشكلان افتراضات جوهرية لكل منهما ولها تأثير غير متماثل في العلاقات الدولية تبعاً للمنطلقات المعرفية لكل منهما. ولأن معطيات الخطاب والهوية بينهما مختلفة تماماً كما أظهرت المقارنة بينهما.

3/ تتنوع المقاربات لفهم ودراسة الظاهرة الشعبوية، غير أن أفضل الطرق هي المقاربة الفكرية بوصف الشعبوية أيديولوجيا (جزئية)، ما يتيح لنا دراسة جانبي العرض والطلب للسياسات الشعبوية، وفهم كيفية تلقي الجماهير للأفكار الشعبوية، وكيفية تأثيرها في العلاقات الدولية من زاويتي التنظير والواقع معاً.

المصادر/

1/ ألكسندر وندت: النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة عبد الله جبر صالح العتيبي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2005.

2/ أمينة مصطفى دلة: الدراسات الأمنية النقدية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والأعلام، جامعة الجزائر، 2013.

3/جمانة دحمان: فن الخطاب الشعبوي، متاح على الموقع:

https//:diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow. 2019/10/10/

4/ جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، في: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، ط1، 2004.

5/ جويدة حمزاوي: التصور الأمني الأوربي، نحو بُنية أمنية شاملة وهوية إستراتيجية في المتوسط، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2011.

6/ جيرار ديسوا: دراسة في العلاقات الدولية، ج2، النظريات الجيوسياسية، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق، 2015.

7/ حاتم أحمد موسى: النظرية البنائية في العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة 1991-2015، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، 2017.

8/ حسام أبو حامد: الشعبوية من المصطلح الى المفهوم، 2019، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10

9/ حسام ميرو: الشعبوية واختلال التوازن في النظام الدولي، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10 .

10/ حسن الحاج أحمد: العالم المصنوع، دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية،

مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد 4، الكويت ،2005.

11/ سامي داوود: الشعبوية في علاماتها البنيوية، متاح على نفس الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10 .

12/ صلاح علي: مستقبل العولمة في عصر الجيل الثاني من الحروب التجارية، 2021، موقع المستقبل. متاح على الرابط:

https://2u.pw/1X4R9i .

13/ عبد العلي حامي الدين: الشعبوية ظاهرة عالمية تهدد الديمقراطية وتتوعد العيش المشترك، متاح على الموقع:

https://arabi21.com/story/1517802.

14/ عزمي بشارة: الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية، مجلة سياسات عربية، العدد 40، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019.

15/ عزيز نوري: الواقع الأمني في منطقة المتوسط (دراسة الرؤى المتضاربة بين ضفتي المتوسط من منظور بنائي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012.

16/ عُلا عطية عيسى: الشعبوية وأسباب ظهورها،2024، متاح على الموقع:

https://shafcenter.org/

17/ علي سفر: عولمة الشعبوية في ميزان ما هو «متاح حالياً»، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10 .

18/ عمار ديوب: كلام عن الشعب وصمت عن الرأسمالية، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10 .

19/ عمر بقبوق: شعبوية أم شعبويات؟، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10

20/ فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز: الشعبوية والسياسة العالمية سبر الابعاد الدولية والعابرة للحدود، ترجمة محمد حمشي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2022.

21/ كارين أز منغست وإيفإن م. أريغوين: مبادئ العلاقات الدولية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الفرقد للطباعة والنشر، دمشق، 2013.

22/ كارين فيرك، البنائية، في: تيم دان وآخرين، نظريات العلاقات الدولية، التخصص والتنوع، ترجمة ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2016.

23/ كاس موده وكريستويل كالتواسر: مقدمة مختصرة في الشعبوية، ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2020.

24/ كريستيان رويس سميث، البنائية، في: سكوت بورتشيل وآخرين: نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد صفار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014.

25/ محمد حلاق الجرف: التأسيس لأيديولوجيا لا أساس لها، متاح على الموقع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2019/10/10 .

26/ هة ذار صابر أمين: إشكالية الدولة والهوية (الدولة العراقية والهوية القومية الكردية انموذجاً)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2008.

27/Gidron، Noam & Bart Bonikowski: Varieties of Populism: Literature Review and Research Agenda، Weather head Working Paper Series، No. 13-0004، 2013، at: https://bit.ly/3hbtFEZ.

28/Muller، Jan-Werner. “Defending Democracy within the Eu.” Journal of De-

mocracy، Vol.24 No.2،2013.

29/ Edward A. Shills:" populism and the Rule of law" University of Chicago law school conference on jurisprudence and politics، conference series، No15.

30/Emesto Laclau: On Populist Reason (London: Verso،2005)، Chantal Mouffe: The Return of the Political،2005.

31/Michal Kazin، "Trump and American populism: old whine، new bottles"، Foreign Affairs، No. 5 (November/December 2016).

32/Kirk A. Hawkins: "Is Chavez Populist?" Comparative Political Studies، Vol.42، No.8، 2009.

33/ https://www.vocabulary.com/dictionary

34/Bertijan Verbeek & Andrej Zaslove: "Populism and Foreign Policy" ، in: Kaltwasser et al. (eds).

35/Emesto Laclau: On Populist Reason، London: Verso، 2005.

36/Patricia Ewick & Susan S. Silbey:" Subversive Stories and Hegemonic Tales: Toward a Sociology of Narrative" ، Law & Society Review، Vol.29، No. 2، (1995).

37/Alexander Wendt: Constructing International Politics، International Security، Vol.20، No. 1 (Summer،1995).

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org